

فلسطين الجرح الدامي

المناسبة: البعثة النبوية الشريفة

الزمان والمكان: 27 رجب 1421هـ – 1379/8/4هـ ش. طهران

الحضور: كبار مسؤولي الدولة وعدد من سفراء الدول الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة عيد البعثة النبوية الأغر أتقدم بالتهاني لجميع المسلمين والأحرار في العالم والتواقين للعدالة على وجه الأرض، والشعب الإيراني العظيم والمقدام، وأهنتكم أيها الحاضرون الكرام، من مسؤولي ومدراء مختلف الأجهزة في البلاد، والضيوف الكرام من البلدان الإسلامية.

هدف البعثة

إنّ المبعث النبوي يمثل عيداً حقيقياً ومهرجاناً كبيراً للمسلمين على مدى كافة الأعصار والأزمنة، وللإنسانية جمعاء، إذا ما أحسنت التمعّن في الرسالة الإسلامية.

لقد فتحت البعثة طريقاً جديداً أمام البشرية {هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور}¹؛ فقد جاءت البعثة لإخراج بني البشر من الظلمات إلى النور، وهذه الظلمات تشمل كافة أنواع الجهل الذي يلفّ العالم، ويطغى على حياة البشرية على مرّ التاريخ.

إنها ظلمات الشرك والكفر، والجهل والنتيه، والظلم والإجحاف والتمييز؛ ظلمات الابتعاد عن الأخلاق الإسلامية والغرق في مستنقع الفساد الأخلاقي؛ ظلمات قتل الإنسان لأخيه، وانحراف الأفكار وضلالتها، إلى غير ذلك من أصناف الظلمات.

¹ سورة الأحزاب، الآية: 43.

إنّ الإسلام يهدي البشرية للخروج من هذه الظلمات، وستتهدي إلى هذا الطريق تدريجياً عن طريق التعلّم والحركة والعزيمة والتفكير السليم وتشخيص العراقيل.

لقد تنامت القابليات في عالمنا المعاصر؛ لاستيعاب البلاغ النبوي أكثر من ذي قبل، فكَلَّمَا ازداد العلم البشري تضاعف الاحتمال بتقديم رسالة الإسلام؛ وبالرغم من تمادي السلطويين في العالم باستخدام الأساليب الحيوانية والوحشية لقمع العواطف الإنسانية وتسخير البشرية — وهكذا يُفتضح الظلم الذي تمارسه القوى الكبرى بحق البشرية — فإن الآفاق تتفتح أكثر لمعرفة نور الإسلام؛ ويزداد تعطّش البشرية له؛ ونحن اليوم نلمس آثار تعطّش البشرية لرسالة الإسلام، التي هي رسالة التوحيد والمعنويات والعدل وكرامة الإنسان.

واجبنا تجسيد رسالة الإسلام

ويتركّز واجبنا — نحن المسلمين — في أن نجسّد هذه الرسالة أمام أنظار شعوب العالم؛ من خلال سلوكنا وأقوالنا وعزمنا وإرادتنا؛ فحيثما اقترن تحرّك المؤمنين بالإسلام في أوساط الأمة الإسلامية بالفضيلة، ازداد الإسلام تألّقاً في أعين الناس وازدادت الرغبة فيه، وحيثما ظهرت على المسلمين معالم الضعف والذلة والانحطاط والتخلّف، فإن ذلك سيكون من دواعي الإساءة للإسلام.

إنّ كل ما يصدر اليوم عن أبناء الأمة الإسلامية وذوي القدرة فيها — أي من لديهم الإمكانية على التأثير — من أفعال وأقوال، إذا ما بدت عليها ملامح الانحطاط، فإنه إهانة للإسلام أمام أنظار الشعوب، من هنا فإن مسؤولية زعماء المسلمين وعلماء الإسلام ومتقفي المسلمين وفنانيهم وكتّابهم وأدبائهم جسيمة للغاية.

ومسؤولية أبناء الدول الإسلامية ممّن لهم التأثير في المحيط الذي يحيون فيه جسيمة للغاية؛ فالיום هو اليوم الذي يمكن أن تُشهر فيه رسالة الإسلام أمام الإنسانية المعذّبة والحيارى من بني الإنسان، والادّعاء بأنها سبيل النجاة لهم، وفيها تكمن الحقائق.

إنّ اليوم يمثّل يوم عيد للأمة الإسلامية، بيّد أنّ عيد المبعث النبوي امتزج هذا العام وللأسف بدماء المظلومين في فلسطين؛ فقضية فلسطين قضية كبرى، والعالم الإسلامي يواجهها منذ أكثر من نصف قرن، وعلى مدى هذه العقود مرّت فترات لو كان زعماء

العالم الإسلامي ومن كان بإمكانهم اتخاذ القرار قد أحسنوا اتخاذ القرار، لربما كانت هذه المشكلة قد حُلَّت أو تيسَّر حلُّها على أقلِّ تقدير.

ولقد ارتكبت الكثير من الأخطاء خلال السنوات المتتالية؛ واليوم يعد من الفترات المصيرية التي ربما يستطيع الشعب الفلسطيني شقَّ طريقه نحو ما يتطلَّع إليه العالم الإسلامي؛ وذلك لولادة جيل جديد في فلسطين.

فقد يتيسَّر قمع حزب ما أو إخراج فئة ما من الساحة، وقد تتراجع طائفة من الناس عن جهادها ومواقفها البطولية، بيِّدَ أنه من غير الممكن ثني جيل بأكمله عمَّا يتطلَّع إليه، وعن الطريق الذي عرفه مهما كان الثمن؛ فالجيل الذي تحملَ أعباء القضية الفلسطينية اليوم هو جيل واعٍ وعارف بالحقيقة، وأي حقيقة؟ إنها حقيقة ما أراد السلطويون وأرباب السياسة وأرباب الثروة في العالم — وفي غفلة من الزمن — من محو شعب بأكمله من الأرض، وإزالة بلد من الخارطة الجغرافية.

وقد توهَّموا نجاحهم في إنجاز تلك المهمة؛ فقد قتلوا طائفة وطرَدوا ثانية وقمعوا أخرى، وتصوروا أنَّ القضية قد انتهت.

إنَّ شعباً كالشعب الفلسطيني بما لديه من تاريخ مشرق وثقافة إسلامية ثرة ومتأصلة وكفاءات متألقة كامنة عند أبناء هذا الشعب، وهو شعب ممتاز يزخر بالقابليات والشخصيات البارزة؛ مثل هذا الشعب الذي يتميَّز بهذه الخصائص، حاولت القوى الكبرى في العالم مثل إنجلترا وأمريكا والصهاينة وهذا الرأسمالي أو ذاك المحفل العالمي، إلغائه من الوجود، وهذا مستحيل، وهو ما ليس بحاصل.

لقد أخطأوا حينما توهَّموا فناء الشعب الفلسطيني وزوال فلسطين؛ ففلسطين باقية والشعب الفلسطيني باقٍ، ومع وجود الشعب الفلسطيني هنالك عملية اغتصاب، إذ تجمَّعت شرذمة من البشر من أكناف الدنيا فأقاموا شعباً لقيطاً وزائفاً وجَهَّزوه بوسائل القوة.

وها هو اليوم يثبت وجوده إلى جانب حقيقة قائمة اسمها الشعب الفلسطيني. وهذه الحقيقة أدركها الجيل الفلسطيني المعاصر بكل كيانه.

فالخطوة الأولى هي المعرفة، وقد حصلوا عليها، حيث أدركوا أنَّ هذا الكيان اللقيط الذي يحظى بالدعم العالمي ليس متعذراً إلحاق الهزيمة به.

لقد أحسنوا الإدراك فنزلوا إلى الساحة، ويتعيّن على الحكومات الإسلامية والشعوب الإسلامية تقديم أقصى ما بوسعهم من دعم لهم.

إنني لا أزعّم أنّ قضية فلسطين ستنتهي على المدى القريب، بيدّ أنني أجزم بأنها ستعود إلى أهلها بلا أدنى شك، ربما يمتدّ بنا الزمن أو يقصر، وقد تضاعف الخسائر وتزداد، غير أنّ هذا الأمر واقع لا محالة.

على جميع المسلمين دعم الشعب الفلسطيني

إنّ ما له التأثير هو سلوكنا؛ فإذا أحسن زعماء البلدان الإسلامية وشعوبها وأحسنّا نحن التصرف فستختزل هذه المدّة وتقلّ الخسائر، أما إذا أسأنا التصرف فستطول المدّة وتتضاعف الخسائر، ولن يتحمّلها الشعب الفلسطيني لوحده، بل سيتجرّعها العالم الإسلامي بأسره، ومن بينهم المقصّرين، والذين يعينون الظالم، ولسوف يدفعون ضريبة فعلهم هذا ويتجرّعون مرارته.

من هنا فعلى جميع المسلمين اليوم تقع مسؤولية تقديم الدعم للشعب الفلسطيني، وبطبيعة الحال فإنّ هذا الدعم يتخذ صوراً متعددة سياسية ومالية ودولية، فبالإمكان تقديم أنواع وصور من الدعم لهم؛ وهذا ما يتحمّس اتخاذ القرار بشأنه من قِبل المستويات العليا والمسؤولين وأصحاب القرار في العالم الإسلامي، وإلاّ فإنّ الشعوب الإسلامية ستشعر حينذاك بأنّ المسؤولية قد أُلقيت عليها.

من المسلّم به أنّ الكيان الصهيوني لا ينفرد بارتكابه لهذه الجرائم، فلاشكّ في مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية له في إجرامه، وإنّ كل من يعين هذا الظالم فهو شريك له في إجرامه، وقد لا يترتب على ذلك أي أثر في الوقت الحاضر، غير أنّه لن يمحي من ذاكرة الشعوب والتاريخ.

لقد أدرك شعبنا العزيز قضية فلسطين بكل كيانه، وشعر بالظلم الذي يلحق بالعالم الإسلامي، وأدرك المسؤولية الملقاة على عاتقه في هذا المجال، وكان لحكومة الجمهورية الإسلامية قصب السبق في هذا الجانب، حيث شعرت بمسؤوليتها وأدّت ما بوسعها، ومن المسلّم به أن تكون لذلك نتائج كبرى، على أمل أن تلمس الدول الإسلامية

تدرجياً — ونحن نشاهد أمارات ذلك — بعض الحقائق، ولقد أخذ بعضها بالاقتراب من صلب القضية ويقترب في مسيرته من الواجب الملقى على عاتق الأمة الإسلامية.

أسأل الله سبحانه أن يمنّ بالتوفيق على جميع مسؤولي البلدان الإسلامية، وكافة الشعوب الإسلامية، ممّن يتابعون هذه القضية الكبرى، التي نشهدها حالياً ولا يسعهم المرور عليها دون مبالاة، وأن يهدينا جميعاً ويمنّ علينا بعونه وتوفيقه، والدنوّ بمشكلة الشعب الفلسطيني — التي هي مشكلة العالم الإسلامي — من الحلّ النهائي بقدرته البالغة وبِعِزَّتِهِ وَقُوَّتِهِ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته